كان وقبائلها «11»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان الثأر
يوقظ مخالبه، ويتحسّس نواياه المبيّتة،
يستدعي أحفاده من النسيان،
يفتح خزائن إرثه
ويبشّر كوارثه العاطلة بصولات جديدة
من فتوحات الدم.

كان الثأر
يراقب سير أحداث الحكاية،
يتفرّس في وجوه خصومه،
يجدولهم، ويفهرس تفاصيلهم المقيتة
ويحدد في أي جولات النزاع
يوجّه الضربة القاضية.

كان الثأر
يعنّف رغباته المتأجّجة
ويلجمها بحصار من الصبر،
يشذّب هيجانها ويحد من طموحها،
يعدها بأن الآتي أجمل
والفرصة متاحة للتعبير كما تريد.

كان الجنرال
يطبخ الحرب على نار هادئة،
يعد الشاي للضحايا
ويحجز الصمت للشهداء
ويتمرن على قراءة البيان الحاسم
وعلى التلويح لجماهير الطبعة الثانية.

كان الجنرال
ينفث غليونه، وأفكاره السوداء،
ينقر الطاولة بإصبعه القلقة
ويهمهم بأمنيات مبتورة،
وبكلمات تتبرّأ من صاحبها..
يدور في غرفته السرّية
مثل جمل معصرة
ويترقّب شيئاً ما،
ويتوجّس من أحداث ما..
يشد حزامه بتأييد معلّب
ويلوّن ابتسامته الحربية بيوم طال
انتظاره.

كان الجنرال
يفتّش تجاعيد وجهه
خوفاً من فخ مزروع،
أو ضحية أخفت انتقامها،
أو من جندي يتمترس منذ حسرة ماضية
ليرد لبندقيته اعتبارها المهدور.

كان الجنرال
يؤلّب مفردات القاموس ضد الفكرة
وضد سلاسة المعنى
وضدّ احتشام الطلقة/الكلمة..
ينفخ ماضيه في بالونات الأنانية
ويمد يديه لاحتضان مجد بعيد
يتعثّر في السير إليه.

كان الجنرال
يعلن تعاطفه مع نفسه
وتنسّكه وزهده عن الأضواء
ويحلم بشرفة هادئة
يتابع منها شغب العصافير
وإيقاع الخطوات الناعمة في الشارع،
ويتأمل الأفق الأزرق
ويتذكر أيامه الحلوة مع الوفاء.

كان الجنرال
يباغت ضميره وهو يدلي بشجونه
فيتراجع إلى ملامحه الجهمة
ويضع يده على مسدسه..

كان الزيف
يحرّض أنصاره على إنكار الضوء
واتّهام العصافير بتمجيد السلام..
وبكل فجاجة يعبث بحركة السير
وينصب فراغه .. عظيماً لقوم الغبار.

كان الزيف
يربّي لحيته الثورية
تحت إشراف خبير المفرقعات
وفي ساحة الأمل
يتحدث بلباقة بليغة
عن حياة بلا حياة

كان اللاشيء
يجادل بائعة الخبز في لون عينيها..
يتشهّى أناملها الشمعية..
يشرب صوتها بتلذّذ متمهّل،
ثم يمنحها شهقة إعجابٍ عابرة.

كان اللاشيء
يدغدغ إبط التاريخ،
فيدلّه ضاحكاً على أمكنة
مثخنة بالأحداث، والخبايا..
ومليئة بآثار مَنْ أتعبوا الدنيا بأمجادهم
الغابرة.

كان اللاشيء
يفنّد أخبار المراسلين الصحفيين
وصياغاتهم المهترئة
ويسخر من حقائقهم المقلوبة وغبائهم
المزمن..
يحطّم التلفاز ويهجر الإنترنت
ويبحث عن فندق شعبي
للراحة والنوم.

كان الفجر
يلعب ببقاياه، ويعطس من غبار
الهواجس..
يتلمّس نفسه برهافة حانية،
ويبحث في جيوبه الداخلية، المتعددة،
عن مفتاح خزانته المليء بزبيب المفاجآت.

كان الفجر
ينهض متبرّماً، ويرفض شرب قهوته،
يرفض تناول إفطاره، أو تحيّة مَنْ حوله،
يرفض نشرة الأخبار الصباحية، وأحوال
الطقس،
يرفض أقوال الصحف الصادرة اليوم،
ويشمئزّ من ذكر أسماء الصيدليات
المناوبة..
يرفض كل ذلك، ما لم يجد وردة
تدغدغ أعماقه بعطرها المترف.

كان الفجر
يتذكّر سيرة طفولته
فيندى جسده بربيع البراءة
وتطل من أعماقه مواكب الحنين..
يذرف دموعه مؤيداً روعة أمسه..
ويهمهم بما يودّ قوله،
لكن غصّة موجعة تعترض ماضيه
ويتعثّر بها ناي اللهفة.
كان الفجر
يتلذّذ بكسله، ويدفن وجهه
تحت وسائد اللامبالاة..
يحلم بنساء الفرنجة،
وبجزيرة خالية من مشائخ «الجن»،
وبهدوءٍ مشبعٍ بالطمأنينة.

كان الفجر
يغلق بابه بإحكام مبالغ فيه،
ويمنح قدميه إجازةً مفتّوحة،
ويعلّق لافتة مضيئة :
انتقل منزل الفجر
إلى حارة أخرى..
«نرجو» عدم الإزعاج».

كان الغبار
يحشد أوهامه، وينادي بسقوط الريح،
ينثر أباطيله
ويدعو إلى محاكمة حالة الطقس/المناخ،
يشكّك كثيراً في حالة استقرار الأوضاع،
وتنتابه حمّى الريبة
إن أعلنت العواصف هدنةً مؤقتة
مع حفيف الأشجار.

كان الغبار
يتّهم الجبال بالغرور
والمنحدرات بالعمالة للقمم،
يشكّ في ولاء الرمال
ويعتقد أن وراء كل زوبعة «...».

كان الغبار
يفرش عباءته، ويدعو الأرصدة المناضلة
للجلوس بالقرب من رغباته..
وبين الحين والآخر
يمسح بيديه المباركتين
على ملمسها الناعم، ويمنّي نفسه بسلطة
مطلقة
وبليلةٍ عارمةٍ لا صبح لها.

كان الغبار
يمشي متنكراً، ومترجّلاً، دونما حراسة،
يصيخ السمع، علّه يمسك بخيوط مؤامرة
السكون،
يقرأ ديوان «ترجمة رملية لأعراس الغبار»
للبردّوني،
ويتمتم بغضب وسخرية :
– إنها السلطةُ تريد توريط اسمي بأعمال
شعرية!!

كان الغبار
يقرأ بشغفٍ «كيف تتعلّم الفوضى في ثلاثة
أيام»،
ويتمرّن على إشعال الحرائق الصغيرة،
وتفخيخ الطرقات بالشائعات
ومنح الغواية بندقية سريعة الإيقاع..
وفي اليوم الرابع
يدعو الأمم المتحدة إلى منحه شهادة
البكالوريوس
في علم الأراجيف وسرقة حليب الأطفال.

● مقاطع من نص طويل

إصدارات ثقافية

«نماذج إنسانية في السرد العربي القديم»

■ صدر عن دار الكتب الوطنية في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاب «نماذج إنسانية في السرد العربي القديم» للدكتور سيف محمد سعيد المحروقي.

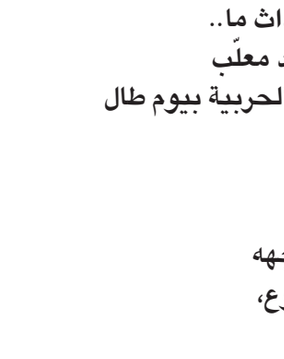

تمحورت الدراسة حول ثلاثة من النماذج الإنسانية في السرد العربي القديم، اختار المؤلف لكل منها عملا سرديا واحدا حتى يتسنى دراسة النموذج الإنساني وفق إطار محدد، وهي نموذج البخيل في كتاب البخلاء للجاحظ، نموذج المكدّي (من يقرع الأبواب طلباً للمال والطعام) في مقامات الهمذاني، ونموذج البطل في السير الشعبية.

وقد حفل السرد العربي القديم بكثير من النماذج الإنسانية التي هي نواة بنيتها الفنية، وقد كشفت الأعمال السردية عن طبيعة هذه النماذج وخصوصيتها ودورها. وتسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على بعض النماذج الإنسانية في محاولة للكشف عن أهميتها ودورها الفاعل في بنية العمل السردي، كما ترمي إلى تحديد ملامح هذه النماذج، ودورها الفاعل في بنية العمل السردي.

يقوم الكاتب بتعريف كل نموذج على حدة ويقوم أيضا بتحديد ملامح النماذج الثلاثة في الدراسة التي سعت جاهدة لتوضيح أهمية النماذج الإنسانية في السرد العربي القديم، من كونها لاتقل أهمية وشأنا عن النماذج الإنسانية العالمية في الدراسات الغربية.

مؤلف الكتاب د.سيف محمد سعيد المحروقي أحد أساتذة كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الإمارات العربية المتحدة. انضم إلى هيئة التدريس سنة ٢٠٠٧ وتخصص في الأدب، وبالتحديد الأدب العباسي.

«مدخل إلى التاريخ الإغريقي»

أصدر «مشروع كلمة» التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتابا جديدا مترجما من الإيطالية إلى العربية بعنوان: مدخل إلى التاريخ الإغريقي من تأليف المؤرّخ الإيطالي المعاصر لوتشانو كنفْرا ، وترجمة التونسي عزالدين عناية.

يندرج الإصدار ضمن معالجة مسائل التاريخ القديم، المتصلة بالحضارة الإغريقية، وهو كتاب تاريخي علمي، يتوجّه إلى المعنيين بقضايا الحضارات القديمة وبالمعرفة التاريخية. وبشكل عام تبقى الكتابات التاريخية الإيطالية المترجَمة إلى اللسان العربي قليلة العدد، حيث أن تلك المدرسة التاريخية، البالغة التطور في معالجة قضايا التاريخ القديم، لا تزال طروحاتها وأبحاثها مغفولاً عنها في أوساط المؤرّخين والباحثين العرب.

وبصفة الكتاب مدخلاً تاريخياً إلى العالم الإغريقي، فهو يتعرّض إلى مسائل ذات صلة بالتاريخ الإغريقي، من منهج الكتابة التاريخية إلى معالجة الحدث التاريخي بعينه. ويستهل المؤلف كتابه بالحديث عن مسألتيْ السماع والمشاهدة للحدث التاريخي لدى المؤرّخ، فرواية الماضي، والغابر منه بالخصوص، محفوفة بالظنون، لذلك نجد مفاضلة بين السماع والمشاهدة، حيث عُدّ السماع أقل صدقا من مرأى العين. ثم يتطرّق الكاتب في موضع آخر إلى تفحّص مُعطى الوثيقة التاريخية، مقراً أنه لا ينبغي إضفاء «قداسة» على الوثيقة، فقد لا تمثّل الحقيقة بالضرورة. وبسببٍ ندرة المصادر الأوّلية، يجد المؤرخ نفسه مدفوعاً للتعامل مع مرويات القدماء التاريخية باعتبارها وثائق، إنه سياق طائش، ولكنه يشكّل الأساس مع رواية التاريخ الإغريقي.

ويمثل استنطاق الحجر أحد السُبُل لذلك، فضلا عن معالجة مخاطر انزلاق المؤرخ نحو الوثائق المزوّرة في تدوينه، وهي مسألة عويصة لطالما بخّست من مصداقية العمل التاريخي. فضلاً عن تناول الكاتب سبل تخلّص المؤرّخ من المرويات الأسطورية، بغرض صياغة نص علمي، خصوصاً عند تعامله مع التاريخ القديم.

من جانب آخر يتعرض المؤلف إلى مسألة الحدود الزمنية والجغرافية للحضارة الإغريقية القديمة، متى تبدأ وأين تنتهي؟ كما يتناول بالتحليل إجراءات ومفاهيم لا تزال راهنة حتى يوم الناس هذا، كحيازة الجنسية، ونشأة مفهوم الديمقراطية، وتطور مفهومَيْ الحرية والشعب. فما كان يُطلَق عليه تسمية الشعب في الجمهوريات الديمقراطية في العالم القديم لا يماثل ما نطلق عليه نحن اسم الشعب. ففي أثينا كان يشارك كافة المواطنين في مداولات الشؤون العامة، لكنهم لم يكونوا سوى عشرين ألفا من ضمن أكثر من ثلاثمئة ألف من السكان، في حين الباقي من العبيد ممن لا يُخوّل لهم ذلك.

مؤلف الكتاب هو المؤرّخ الإيطالي لوتشانو كنْفرا، وهو من مواليد ١٩٤٢. هو أستاذ فقه اللغات الكلاسيكية بجامعة باري ومدير مجلّة «دفاتر التاريخ». نشر العديد من الأبحاث منها: «تاريخ الأدب الإغريقي» ٢٠٠١، «نقد الخطاب الديمقراطي» ٢٠٠٢، «يوليوس قيصر: الدكتاتور الديمقراطي» ٢٠٠٣.

أما المترجم فهو عزالدين عناية، أستاذ تونسي يدرّس بجامعة لاسابيينسا في روما. كاتب ومترجم نشر العديد من الأعمال منها: «نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم» ٢٠١٠. آخر ترجماته المنشورة «الإسلام الأوروبي» ٢٠١٠، لعالم الاجتماع الإيطالي إنزو باتشي.

'رحلة مع الشعر العربي'

■ صدر كتاب بعنوان 'رحلة مع الشعر العربي'، وهو من تأليف الباحث الأكاديمي الموريتاني الدكتور محمد المختار ولد اباه.

وصدر هذا الكتاب عن مطبعة الأمنية في الرباط، في ٦٣٢ صفحة من القطع الكبير، وبمقدمة كتبها الدكتور عباس الجراري عضو أكاديمية المملكة المغربية.

ويوزع المؤلف كتابه في الفصل الأول تحت عنوان 'انطلاقة مع الشعر الجاهلي'، إلى أربعة أقسام يسميها محطات؛ الأولى مع دواوين الشعراء الستة وهم: امرؤ القيس والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل بن عبدة وزهير بن أبي سلمى وطرفة وعنترة بن شداد العبسي، والثانية مع باقي المعلقات وهي لأربعة شعراء، ابن كلثوم واليشكري ولبيد بن ربيعة، والثالثة يسميها 'محطة جانبية' عن أبي دريد والشنفري، والرابعة مع كتب الشعر القديم، وهي كتاب 'طبقات الشعراء' للجمحي وكتاب 'الفضليات والأصمعيات' وكتاب 'جمهرة القرشي'.

ويخصص الفصل الثاني لتطور الشعر في فجر الإسلام وفي العهد الراشدي وفي العصر الأموي، ويقف في محطتين؛ أولاهما مع الحطيئة والغزليين وثانيتهما مع شعراء السياسة والنقائض.

ويفرد المؤلف الفصل الثالث لما يسميه 'مجازات مع مراحل الشعر في العصور العباسية'، حيث يقف في ثلاث محطات؛ الأولى مع مرحلة التجديد الشعري، والثانية مع شعراء البديع والمحطة الثالثة عن مرحلة الصناعة الشعرية.

أما الفصل الرابع فهو عن 'جولة في ربوع الأندلس'، وفيه يقف المؤلف عند أربع محطات، الأولى عن الأندلس الفردوس المفقود، والثانية حول نكبة ابن عباد، والثالثة حول سمات الأدب الأندلسي وهي ست؛ الانبهار بالطبيعة والتفنن في وصفها، والحنين إلى الأصول المشرقية، والتأنق في الأسلوب، واستحداث الموشحات، وشعر الهزل والمجون، وكثرة الشواعر؛ أما المحطة الرابعة، فهي مع أعلام الشعراء الأندلسيين.

ثم ينتقل المؤلف في الفصل الخامس إلى المغرب العربي، حيث يقف في ثلاث محطات؛ الأولى مع شعراء القيروان وتونس والثانية مع الشعر في القطر الجزائري، والمحطة الثالثة من هذا الفصل، فيخصصها المؤلف للشعر في المغرب الأقصى.

ثم ينتقل المؤلف بالقارئ إلى الشعر الحديث، ويخصص له ثلاث محطات، الأولى عن 'شعراء تجديد القديم'، والثانية فيقف فيها مع 'شعراء الحداثة'، والثالثة مع 'شعراء المغرب المحدثين'.

ثم يعود المؤلف إلى الشعر الشنقيطي فيحكي عن تجربته الشخصية معه، ويقف عند أربع محطات، الأولى يفرد لها عنوان 'استدراكات محدودة' ، والثانية يخصصها لمحاور المديح النبوي في شعر الشناقطة، والثالثة عن الشعر التعليمي عند الشناقطة، والرابعة عن هاجس الزمن عند الشاعر الموريتاني امحمد بن الطلبة